المعبد السوري في ديلوس

للأستاذ أرنست وبل

(خلاصة المقال المنشور في القسم الغربي من المجلة)

انتشرت بعد فتوحات الاسكندر ونشوء الأمبراطورية الرومانية ، مدنيتا اليونان والرومان في بلاد الشرق . وفي سورية الحالية كثير من الآثار التي تدل على ذلك . بيد أنه لا يجب أن يسهى عن البال أن أفكار الشرق وتقاليده نفذت هي الأخرى خلال العصور اليونانية والرومانية إلى العالم الغربي . ويمكننا دراسة هذه التأثيرات الشرقية أثناء العهد الهلنستي في أقدم معابد اليونان وهو معبد آبولون في ديلوس .

وقد أبان المؤرخ (روسيل) أهمية الدور الذي لعبه المهاجرون السوريون والفينيقيون والفلسطينيون في هذه الجزيرة . ووجدت منذ مدة قريبة وثيقة أثرية فيها لائحة بأسماء شبان من ديلوس معظمهم سوريون . كما أن أكبر منازل الجزيرة . وهو منزل (الخطاف) كان لأحد التجار السوريين الأغنياء ؛ وكذلك فان فناناً من جزيرة (أرواد) صنع لوحاً من الفسيفساء وجد في منزل (خنزير البحر) . على أن كل ما ذكر ليس بشيء أمام المعبد الذي أنشاه السوريون في هذه الجزيرة الصغيرة ووقفوه على آلهتهم .

ونلاحظ أن كثيراً من العلماء استغربوا شكله وأوضاعه التي تفترق كثيراً عن شكل وأوضاع المعابد اليونانية ، لما عثر عليه في سنتي (١٩٠٩ — ١٩١٠) . غير أن المعلومات التي توفرت لدينا خلال ثلاثين سنة خلت ، عن الآثار والأبنية السورية بددت هذا الاستغراب ، وأثبتت أنه شبيه بالمعابد السورية ، ولا سيما بمعابد مدينة (دورا آوربوس) .

ودلت الكتابات التي وجدت فيه على أن (أكيوس بن أبولونيوس) من مدينة هيرا بوليس

(منبج) من سورية ، هو أول من أنشأه في سنة (١٢٨ — ١٢٧ ق . م) ، وأهداه الى الرب (حدد)، وإلى الربة (أتارغاتيس) . ولا يخفى أنه كان في منبج في هذا الزمن معبد عظيم لهذين الربين. ثم اتسع معبد (ديلوس) في سنة (١١٨ — ١١٧ ق . م) ، وبين سنتي (١١٢ — ١٠٤ ق . م) ، فشيدت فيه قاعة (أكيوس) ، وعمارة مدخل عظيم بين رواقين ضخمين ، وصومعتان ، وإيوان ، ومسرح . ثم تهدم قسم منه في فاجعتي سنتي ٨٨ و ٦٩ اللتين حلتا في الجزيرة ، وتحول إلى أطلال . ولم يهب أحد لاعادة بنائه ، في الزمن القديم ؛ ولم يقم أحد من العلماء على دراسته دراسة علمية في الزمن الحديث . لهذا فاننا سنتقدم فيما يلي عنه مخططاً (١) ، ونرفقه بوصف أجزائه وبعض الملاحظات عن هذه الأجزاء .

يقوم هذا المعبد شأن غيره من معابد ديلوس على سفح جبل (سينت) بالقرب من منازل السكن في الجزيرة ، في نقطة تشرف على سهلها المقدس . وتدعم جوانب موقعه المسوى ، جدران ضخمة حسنة البناء . ويمكن الوصول اليه بعد الصعود في وادي (الاينبوس) على طريق معبدة مسواة على شكل درج (رقم ٨) . وتنتهي هذه الطريق في فناء أفيح واسع يمتد إلى الشمال على مسافة ثمانين متراً . وفي نقطة نهاية الطريق كثير من الأنقاض التي تدل على أنه كان هنالك في جنوبي المعبد بناء لمدخل ضخم (رقم ٦) . ويلاحظ أن الناحية الجنوبية من المعبد متهدمة جداً . ويتعذر لأول وهلة معرفة ماكان عليها من منشآت . ومهما يكن فإنه يوجد في وسط هذه الجهة مربع ضلعه (١٢ متراً) مغطى بألواح من الفسيفساء (رقم ١) . وهذا المربع صحن لدار كانت غرفها موزعة على أطرافها الأربعة كما تنص على ذلك تقاليد العهد الهلنستي في بناء الدور . ويتألف صدر جناح البيت الشرقي من جدار ضخم ارتفاعه (٣ أمتار) ومبني بأحجار غرانيتية كبيرة (رقم ١) . ويظهر أن رواقاً كان قائماً في هذه الجهة من الصحن . ويتصل هذا الجناح بعدة غرف متواضعة أخرى . ويوجد رواق آخر في الجهة القربية من الصحن مقابل الرواق الشرقي (رقم ٤) . وما زال كثير من أنقاضه على حالها . وأرضه مفروشة بالفسيفساء التي تشبه فسيفساء الصحن . وفي الجهة الجنوبية أربع غرف ، إحداها صومعة ، ويظن أن تمثال الآله (حدد) كان فيها (٢ آ) ، والثانية دهليز (٢ ب) ، والثالثة والرابعة غرفتان (٣ آ و ٣ ب) يصل المرء إليهما بعد أن يصعد على درج . وهما تؤلفان صومعة أخرى مزدوجة . هذا ويقوم في شرقي بناء المدخل (رقم ٦) قاعتان الأولى مستطيلة ومفروشة بالفسيفساء ، وفي صدرها مذبح (رقم ٧ آ) ، والثانية مستطيلة أيضاً يصعد اليها بدرج ذي خمس درجات ، وفي داخلها مذبح (رقم ٧ ب) .

(١) انظر هذا المخطط في المقال الأصلي .

وبعد أن يفارق المرء هذا القسم من معبد ديلوس ينظر إلى الفناء الواسع فيدرك كيف نظمت أجزاؤه الأخرى . ففي يمينه تمتد من الجنوب إلى الشمال سلسلة من الأبنية المختلفة ، وفي يساره يوجد رواق كان قائماً على نحو عشرين عموداً .

أما الأبنية الممتدة إلى يمين الزائر فهي القاعة (رقم ٩) والقاعة (رقم ١٠) والقاعة (رقم ١١) . ويوجد في طرفيها الشرقي والجنوبي مصطبتان ، وفي شمالها دهليز يؤدي إلى باب ينتهي في مجموعة الأبنية التالية .

ونبلغ الآن أهم بناء في هذا المعبد . وهو القائم وسط الضلع الشرقي من الفناء . وقد أنهينا إظهار كامل أجزائه في سنة ١٩٥٠ . ومخططه فريد في نوعه . إذ أن جدارين مبنيين بأحجار ضخمة يتتابعان ويحدثان فيما بينهما فراغاً هو واجهة مسرح مستدير (رقم ١٣) . ولهذا المسرح اثنتا عشر درجة تفصل بينها ستة سلالم كما هو الأمر في كل المسارح اليونانية . ويحيط بشكل المسرح المستدير جدار ليست له أبواب (رقم ١٥) . وهو واقع ضمن شكل مستطيل مفتوح من أسفله . وأكبر الظن أن هذا الشكل كان رواقاً تطل أعمدته على الفراغ المحيط بالمسرح . وكل منها مرتكز على ثلاث درجات . ولم يكن في جدار الصدر من هذا الرواق أي باب ، إلا في وسطه حيث توجد غرفتان متصلتان ببعضهما . وفي الجنوبية منها مصاطب منظمة على شكل نعل الفرس . ويرى أن الرواق متهدم جداً . وفي جزئه الجنوبي آثار لبنائين صغيرين مستديرين كأنهما حوضان .

ويلاحظ أنه لا يوجد للمسرح مكان للتمثيل . لأنه يطل مباشرة على الفناء المتقدم الذكر . ومنه يشرف على الرواق الغربي حيث توجد وراء هذا الرواق غرفتان مزدوجتان (رقم ٢٢ آ ورقم ٢٢ ب) . وأرض الرواق التي تقابل الغرفتين مفروشة بفسيفساء دقيقة الصنع أنفق عليها حسب الكتابة التي تشاهد عليها ؛ رجل اسمه (فورميون) (رقم ٢٢ ث) . وأرض الغرفة الأولى مبلطة أيضا بالفسيفساء ذات الرسوم الهندسية المتعددة الألوان ، وفيها إيوان بناه رجل اسمه (ميداس) .

وإذا تقدمنا شمالا لشاهدنا بئراً مستطيلة كان يحيط بها حاجز (رقم ١٦) . وموقعها مائل نسبة الى الأبنية المتقدمة . ثم تأتي بعدها مجموعة من الغرف في الزاوية الشمالية الشرقية من المعبد وأكبرها غرفة مدخلها محمول على عمودين . وفي داخلها مصاطب تنتظم حول ثلاث جهات من جهاتها (رقم ١٧ آ) . وفيها فسيفساء جميلة ، أنفق عليها رجل روماني اسمه (بلوتيوس) . وهذه الغرفة تتصل جنوباً بغرفة أخرى فيها درج ضيق يؤدي الى رواق المسرح (رقم ١٧ ب) . ثم تأتي شمالا الغرفة (رقم ١٨) وفيها مصاطب على ثلاث جهات

من جهاتها . وفي الطرف الثاني من الفناء قاعة مشابهة لها (رقم ٢٠ آ) . وفي هذه القاعة وجدت كتابة تنص على أن تاريخ البناء هو دون سنة (١١٢ — ١١١ ق . م) . وقد تقدم ذكر ذلك . وتتصل بهذه القاعة قاعة أخرى وهي (رقم ٢٠ ب) . ويشغل نصفها الشرقي حوض مستدير قطره متران . وبين هاتين القاعتين بناء المدخل الشمالي للمعبد . وهو بناء ضخم ومتهدم (رقم ١٩ آ) وكان المدخل الأساسي للمعبد قبل نشوء المدخل الذي ينتهي عنده الدرج الصاعد على جبل (الأينوبوس) . ومنه كان ينحدر الناس الى السهل المقدس . وأخيراً فانه توجد بقايا عدة قاعات في الجهة الشمالية الغربية من المعبد ، وهي تشبه أجزاء عادية من معبد شرقي .

وخلاصة القول هذه هي الأقسام الأساسية لمعبد ديلوس الذي يمتاز على الرغم من بساطة بنائه ، بأروقته الواسعة ومدخله ومسرحه . وكان آبدة وحيدة في نوعها لما اكتشفت . غير أن التحريات الأثرية في سورية ولا سيما حفريات (دورا أوربوس) أظهرت أبنية أخرى تشبهها وتحوي أفناء ومسارح وأواوين ، وقاعات ذات مصاطب . وقد تقدم ذكر المسرح الذي هو أهم أجزاء معبد ديلوس . وهو عنصر أساسي من عناصر المعبد السوري . ويلاحظ أنه لم يوجد في أي معبد من معابد بلاد اليونان . على حين أن المعابد السورية ذات المسارح متعددة . ومنها معبد (بعل شامين) في سيع من حوران الذي بني نحو فاتحة التاريخ الميلادي . وقد وجدت على ارشيتراف رواق باحته الأمامية كتابة نبطية فيها كلمة (مسرح) . ويدل نص هذه الكتابة على أن هذا الرواق هو المسرح بعينه . وفيه درجتان واسعتان معدتان لجلوس المتعبدين . وفي (سور) و (سحر) من اللجا وجدت آثار لمعبدين يشبهان معبد سيع ، وفي كل منهما رواق ذي درجات . ولا يخفى أن هذه الأروقة لا تشبه المسارح الحقيقية غير أنها كانت مخصصة لجميع المتعبدين الذين يرغبون في رؤية المشاهد الدينية التي تجري في أفناء المعابد .

هذا وقد وجدت مسارح حقيقية في بعض المعابد السورية كمعبد جرش (جيرازا) . وأهم هذه المعابد معبد (أتارغاتيس) في (دورا أوربوس) ، الذي وجدت فيه قاعة فيها ست درجات ، ومعبد (ارتميز نانايا) في نفس المدينة وقد لوحظت فيه قاعة ذات درجات متعددة . وكذلك عثر على قاعات مدرجة في معابد (أرتميز أزانا ثكونا) و (أدونيس) و (غاده) . وعلى هذا فان معابد (دورا أوربوس) تقدم لنا نموذجاً في البناء ، لم ير ما يماثله لا في بلاد اليونان ولا في سورية الغربية .

ولا ريب أن مسرح (أتار غاتيس) في معبد ديلوس بني كما تبنى المسارح اليونانية ، لأنه مشاد في أرض يونانية . وهو يتسع لأربعمائة أو خمسمائة من المتعبدين . غير انه لا يمكن أن

يكون دليلاً على أن بناته السوريين قد اتخذوا طقوساً دينية جديدة . والظاهر أن الناس كانوا يجتمعون فيه خلال أيام الأعياد ، فيشاهدون تمثال الربة (أتارغاتيس) وهو يتنقل في فناء المعبد خلال الطقوس الدينية المتعددة التي كانت الكهنة تقدم بإجرائها . ويحدثنا المؤرخ لوسيان عن هذه الطقوس الدينية المتعددة التي كانت شائعة في ديانة (أتارغاتيس) في منبج ، ويقول إن منها عيدين كبيرين يقامان في باحة المعبد وهما (النزول الى البحيرة) و (عيد المحرقة) . ويظن أن العيد الأول ينص على انزال تمثال الربة في بحيرة (منبج) ، والطواف به حولها . ولا يستغرب أن يكون بئر الفناء (رقم ١٦) أو البئر الواقعة في الشمال الغربي (رقم ٢٥) في ديلوس ، كانا يلعبان نفس الدور .

وصفوة المقال إن عناصر معبد ديلوس تلقي نوراً واضحاً على تاريخ الديانات والمعابد السورية . ولا ريب أن القضايا التي يضعها هذا المعبد على بساط البحث ستزداد وضوحاً خلال الاكتشافات الأثرية المقبلة في سورية .

تعريب و تلخيص مجلة الحوليات الاثرية